

مكانة اللغة العربية في وسائل الإعلام

- دراسة تحليلية ونقدية -

د. جمال الدين قوعيش
(جامعة الجزائر 2)

مقدمة

إنّ اختيار موضوع "مكانة اللغة العربية في وسائل الاعلام" ليكون عنواننا لهذا البحث، يورد في سياق ظهر فيه اهتمام بالغ الأهمية بوسائل الاعلام، ودورها المؤثر في حياة المجتمعات والشعوب، بما يتضمّنه من بُعد لغوي، سمة لعصرنا وزماننا، ونحن نتابع "معارك" الاعلام ووقائعه بأكثر مما نُقبل على متابعة ما يدور على الأرض من معارك حربية، وتتعلق أنفاسنا بما تبثه هذه الأجهزة الإعلامية في صورة سيل هادر من الأخبار والمعلومات والكلمات والمواقف والصور والرسوم.

كذلك، فإنّ مثل هذا العنوان يتطلب موقفا. إمّا أن تكون مع هذه اللغة أو ضدها. السلبيات كثيرة، أو متواصلة نحس بها جميعاً ونشكو من تعاظم أخطارها وتأثيرها خاصة على النشء الجديد. لكنّ ثمة إيجابيات كثيرة لهذه اللغة، لا بد من الالتفات إليها وإبرازها، نحن عادة لا نلتفت إلى هذه الإيجابيات، ونؤثر التعامل مع نصف الكوب الفارغ، مع أن الأمر يتطلب تركيزاً مماثلاً على نصف الكوب المملآن.

وقد استعنا في توثيق هذه الدراسة، وإكسابها طابعها العلمي بدراسات رائدة -في هذا الميدان- للعالم اللغوي الدكتور شرف عبد العزيز عن مستويات العربية المعاصرة، والعالم اللغوي الدكتور السيد محمد نادر عن الآثار الإيجابية للغة

الاعلام، مركزين على استجابتها لاحتياجات اللغة وسد فجواتها المعجمية، وعن الفصحى المعاصرة ودورها في أجهزة الاعلام في العصر الحديث، وغير هؤلاء من المهتمين. لذا فإنّ دراستنا ستحاول الاشارة إلى النماذج والشواهد أكثر من اتساعها للتنظير إلاّ عندما يتعلق الأمر باستخلاص رأي أو حكم أو استعراض وضع أو حال، إثارة لتقديم البعد الواقعي الوثائقي لهذه اللغة في مجال حركتها اليومية الفاعلة.

1- واقع اللغة العربية:

إنّ الأمر المتفق عليه أنّ اللغة في وسائل الاعلام تكتسب أهميتها من أهمية هذه الوسائل الإعلامية التي تكشف عن تنامي الثورة الاتصالية وتعاضم آلتها الجبارة نفوذاً وسطوة وتأثيراً وسعة انتشار، الأمر الذي يجعل هذه اللغة من خلال الإذاعة المسموعة والمرئيات والفضائيات يتزايد تأثيراً ويتصاعد ويتسع مداه، مع النجاح الهائل لهذه الوسائل في اجتذاب ملايين المستمعين والمشاهدين من كل الأعمار والمستويات.

إنّ المتأمل في واقع هذه اللغة، يميّز على الفور بين عدة مستويات من الأداء، المسألة إذن ليست كما يُبسّطها بعضنا من ثنائية تقليدية هي فصحى وعامية أو عربية صحيحة ولهجة محلية. الأمر - في حقيقته - أكثر تعقيداً وتشابكاً. فالفصحى التي تبث بها هذه الوسائل في نشراتها الإخبارية وبرامجها السياسية والثقافية والعلمية والأدبية وأحاديثها وبرامجها الدينية وموادها المتنوعة والرياضية، هذه الفصحى ليست فصحى واحدة، وإنما هي فصحيان أو مستويان من الفصحى. فصحى تراثية، هي الفصحى المثال والنموذج والقُدوة، المحتفظة بكل صفات الفصحى القديمة في معجماتها من المفردات، وطريقة نطقها، وصوتياتها، ونظام جملها، وهندسة تراكيبها. وهي متحققة في البرامج والأحاديث الدينية والتمثيلات

والمسلسلات الدينية والتاريخية التراثية، التي يلجأ كتابها ومؤلفوها إلى تمثيل عربية القرون الغابرة، لمحاكاتها، وإضفاء الصدق على أعمالهم الفنية. هذه الفصحى التراثية مثلها الأعلى هو القرآن الكريم والحديث الشريف وآثار الخلفاء والبلغاء والشعر العربي في عصر العربية الأولى.⁽¹⁾

المستوى الثاني من الفصحى هو الفصحى المعاصرة، التي يشيع استخدامها في الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على وجه الخصوص، بل هي مستودع المعارف والعلوم والفنون والآداب في زماننا، تأخذ من الفصحى التراثية نظامها اللغوي نحواً وصرفاً وإعراباً، لكنها تتجاوزها وتزيد عليها في معجمها اللغوي وفي نظامها الصوتي وفي بنيتها التركيبية وحقوقها الدلالية. وهي المستوى المستخدم في نشرات الأخبار والبرامج السياسية والتعليقات والنصوص الثقافية والعلمية والأدبية والفنية المكتوبة.

فإذا تأملنا بقية مستويات التعبير اللغوي، وجدنا أنّ ما يقابل هاتين الفصحتين من عاميات أو لهجات، ليس عامية واحدة أو لهجة واحدة، بل هي عدة عاميات، أولاهما: عامية المثقفين، وهي عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة معاً تحررت من الإعراب، وبعض مظاهر النطق الصحيح للأصوات. وهي شائعة من البرامج الحوارية الجادة، التي تستضيف من هم على قدرٍ من الثقافة والمعرفة والتخصص، مثل برامج العلم والسياسة والفن والموضوعات الاجتماعية وبرامج الرأي والمناقشات والحوار. ثانيتهما عامية المتنورين التي تهبط في المستوى لتصبح لغة الحوارات الخفيفة، التي تلمس موضوعات اجتماعية وفنية ورياضية، والتي تشيع فيما يسمى الآن بالث مباشر. فهي لغة عامة المواطنين، يستخدمونها في أمور الحياة اليومية من بيع وشراء ورواية أخبار. ثالثتها: عامية الأميين وهي عامية قاع المجتمع، استخدامها مقصور غالباً على الأعمال الدرامية حين تنطق بها شخصيات

حرفية، أو شخصيات تريد أن تسخر من الأداء الصحيح واللغة الصحيحة، فتبالغ في تجسيم الأخطاء وتشويه صور النطق السليم. وقد تصل في "سوقيتها وابتذالها" إلى الاستخدام في السينما والمسرح والموجة الغنائية الشائعة هذه الأيام. هي باختصار لغة العامية، التي يتواضع عليها أبناء مهنة من المهن وربما للصوص، يتكلمون بها فلا يفهمها غيرهم.

في ضوء هذا التقسيم الذي يحاول تحديد مستويات التعبير اللغوي، والذي اعتمده الدكتور السعيد بدوي في كتابه "مستويات العربية المعاصرة في مصر"، نجد أن ثمة موقفين شديدي التباين والتباعد، في الحكم على مدى توفيق الإذاعتين المسموعة والمرئية والفضائيات في استخدام هذه المستويات.⁽²⁾

قد يرى فريق من فقهاء اللغة، أنه فيما تقوم به هذه الوسائل الاتصالية جناية كبرى على اللغة العربية، وتشويهاً لصورتها الصحيحة وإشاعة للأخطاء التي تمس قواعد النحو والصرف والإعراب وهندسة التركيب، وقواعد النطق والأداء الصوتي. بل يرون أن هناك ما يشبه المؤامرة على لغتنا القومية، لغة القرآن الكريم والشعر العربي، ومن ثم فهي مؤامرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

2-توظيف مصطلحات اللغة العربية في الاعلام:

ما أكثر الأخطاء التي تجري على ألسنة المذيعين والمذيعات ومقدمي ومقدمات البرامج وكثير من ضيوف الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات من دون، أن يواجهها تصحيح أو تصويب.

أخشى ألا يتسع المجال لنماذج وعينات من هذه الأخطاء. في مقدمتها الخلط بين المفرد وجمع المؤنث السالم في انتهائه بألف وتاء في مثل كلمة "رفات" التي هي مفردة وليست جمعا مؤنثاً سالماً، ومثلتها فئات وسُبات وسُكات وفُرات.

والكلمات المفردة المنتهية بألف وتاء مربوطة حين تضاف إلى الضمير مثل: مداواة ومساواة ومناجاة، فهي تلتبس لدى هؤلاء بجمع المؤنث سالم مثل: مداواته، محاذاته، مساواته، معاداته، مجاراته، مناداته، مُجازاته، مُضافاته، مُجافاته، مُعافاته، مُحاكاته مُغالاته، مُعاناته، مُباهاته، مُضاهاته. وغيرها.

كذلك يقع الالتباس المؤدي إلى وقوع أخطاء عدة في جموع التكسير التي تنتهي بألف وتاء مربوطة حين تضاف إلى الضمير، فتلتبس بجمع المؤنث السالم مثل: قضاتنا، هداتنا، نحاتنا، طغاتنا، ذهاتنا، رواتنا، غصاتنا، رُعاتنا، حواتنا، حُفاتنا، كذلك المفردات التي تنتهي بتاء حين تجمع، مثل: وقت وأوقات، وبيت وأبيات، وثبت وأثبت وصوت وأصوات، وقوت وأقوات.⁽³⁾

ومن هذه الأخطاء التي تمتلئ بها لغة الإعلام من الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات على ألسنة المذيعين والمذيعات ومقدمي البرامج وكثير من الضيوف: منع بعض المفردات من الصرف لانتهائها بألف وهمزة. ولا ينتبه المتكلم إلى أن الهمزة قد تكون أصلية أو منقلبة عن أصل وقد تكون زائدة. ومنع الصرف قد يكون بسبب وجود ألف التأنيث الممدودة وهي زائدة دائماً. فهم يمنعون من الصرف كلمات على وزن أفعال والهمزة ليست زائدة مثل آباء، آراء، آلاء، أبناء، أبهاء، أئناء، أجزاء، أجواء، أحشاء، أصداء، أضواء، أعباء، أعداء، أعضاء، أكفاء، أنباء. وبالمقابل فإنهم يصرفون كلمات تستحق منع الصرف، مثل ألفاظ الجموع المنتهية بألف وهمزة مثل: أطباء، علماء، أبرياء، أثرياء، أذكىاء، أسوياء، أشقياء، أنبياء، أجلاء، أحباء، أخلاء، أذلاء، أرقاء، أشحاء، أشداء، أشقاء، أعزاء، أعفّاء، ألباء.⁽⁴⁾

ومثل: بُخلاء، بسطاء، حكماء، حلفاء، حنفاء، خبراء، دخلاء، رُحماء، زعماء، زملاء، سعداء، سفراء، شركاء، شعراء، شهداء، صرحاء، طلقاء، عرفاء، غرماء، عزباء، فقراء، قرناء، ندباء، نزلاء، فصحاء، نقباء، إلى آخره.

ومن الكلمات التي تصرف وهي ممنوعة من الصرف: حواس، حواف، خواص، رمال، شواب، شواد، صواف، صواد، عوام، مواد، هوام.

من هذه الأخطاء الشائعة أيضاً، الخلط بين صيغتي اسم الفاعل والمفعول مثل: أعدم، بمعنى افتقر - يقال: فلان مُعَدِم وليس مُعَدَم كما ينطقونها. الحق الانتخابي مُقْتَصِر وليس مُقْتَصِراً، فلان مُبَرِّز في مجال كذا وليس مُبَرِّزاً.

ويخلطون بين وزن فعَّله الذي يُجمع جمعاً مؤنثاً سالماً على فَعَلات مثل سجدة، سجدات، وحلقة حلقات، ووزن فعلة - فيقولون: رحلة، رَحَلات وخدمة خِدَمات وهو خطأ صوابه خِدَمَات، وفلذة فلذات وصوابه فلذات وفقرة فقرات وصوابه فقرات.

كما يذكر لنا الأستاذ السيد محمد نادر، في دراسة خصَّها بالأخطاء الشائعة في الخطابات الإعلامية في الوطن العربي، وما يتفوه به الاعلاميون بين حين وآخر، فمن أخطائهم قولهم، أمرٌ مُلِفَت مع أن الفعل لَفَت لا ألَفَت فيكون الصواب أمر لافَت، ويقولون: ضوء مُبهر مع أن الفعل بهر لا أبهر فيكون الصواب: ضوء باهر.

وعلى غرارها يقولون دراسة مُسبقة وحادثة مفاجئة (والصواب فاجعة).

ويقولون لن أفعل هذا طالما أنا حيّ. والصواب أن يقال: لن أفعل هذا ما دمت حياً. أما طالما فمعناها كثر ما. وهي مكونة من الفعل طال + ما الزائدة⁽⁵⁾.

كذلك تكرر "بين" أو "كلما" في مثل قولهم: قام الصراع بين العرب وبين إسرائيل. ومثل: كلما لان العرب كلما زادت صلافة العدو. والأصح أن يقال بين العرب وإسرائيل، وكلما لان العرب زادت الصلافة. ولا تُكرر "بين" إلا مع الضمير مثل: بينهم وبين جيرانهم.

كما يُخطئون في تثنيته دعوة ودعوى، فالأولى: تثنيتهما: دعوتان، والثانية: دعويان كذلك تنوين العَلَم الموصوف بابتن مثل قال: محمدٌ ابن علي والصواب بدون تنوين محمدٌ بنُ علي.

كذلك دخول الباء مع الفعل استبدل على المتروك أو المحذوف، يقولون: استبدل سيارتي القديمة بسيارة جديدة وهو خطأ، فقد عكست هذه الصيغة المعنى، وفي القرآن الكريم، أtestبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ويخطئون في نطق تجربة حين يقولون تجربة ونطق تجارب حين يقولون تجارب وفي قولهم: أجهزة التصنت بمعنى الاستماع والسمع على الآخرين. وليس في اللغة تصنت لأنمادة صنت غير موجودة. لكن الموجود: نصت وأنصت وانتصت، إذن هي أجهزة تنصت.

كما يخطئون في التفرقة الدقيقة بين قط وأبدا:

وخلد	وخلد
وعلاقة	وعلاقة
وخصلة	وخصلة
وخلة	وخلة
وحمل	وحمل
وسجن	وسجن
وآذان	وآذان
وغذاء	غذاء
وعشاء	وعشاء
وزم	وزم
وشائق	وشائق
وفيات ⁽⁶⁾	وفيات

من الضروري في هذا المجال أن نشير إلى انفجار شبيه بالانفجار السكاني أو الانفجارات الكونية كالبراكين والزلازل، حدث في إذاعتنا المسموعة والمرئية وفضاياتنا العربية جميعها، وهو ما يسمى بالبث المباشر الذي يستغرق ساعات عدة من حجم الإرسال، ويهبط فيه مستوى الأداء اللغوي إلى أدنى درجة له من حيث الصحة والصواب، ليصبح أكثر اقتراباً من السوقية والابتذال. فيما تدور حوارات طويلة مملّة بين المستمعين والمشاهدين من ناحية، ومقدمي البرامج من ناحية أخرى، لا مضمون لأغلبها ولا قيمة لها في مجملها، فضلاً عن امتلائها بكل ما يؤدي السمع من أخطاء في التعبير والنطق، واستخدام الكلمة المناسبة والأداء السليم.

إنّ هذا الانفجار كما نسمّيه أدى إلى أن تصبح اللغة المستخدمة في هذه الأجهزة الإعلامية صورة من لغة الشارع والسوق والبيت من حيث الامتلاء بالعامية واللهجة المحلية والبعد عن الصواب والصحة والسلامة.

وأن نشير أيضاً إلى أن ما نسمعه ونشاهده من أفواه كثير من العاملين في هذه الوسائل الإعلامية، هو خلاصة ما أمكن الوصول إليه بعد اكتمال تدريبهم في معاهد التدريب الإذاعية والتلفزيونية من خلال دورات عامة ونوعية وذات مستوى رفيع، لكنها لا تستطيع أن تصلح ما أفسده الدهر، من نظام تعليمي وأساليب تعليمية لم تعد ناجحة في إقامة اللسان، وإحكام العلاقة بين المتعلم ولغته - في تراثها وثقافتها وإبداعها - برباط من المحبة والاحترام والرغبة في المتابعة والاهتمام، وبيت لم يعد يُعنى - بل لعله لم يعد قادراً أمام زحام أمور الحياة وضغوطها - على متابعة مستوى تعليم الأبناء والإشراف على ما يُحققونه من تقدم أو تفوق. وكُتب مدرسية تضمّ مناهج في تعليم العربية تنجح في التنفير والكراهية بدلاً من التحبيب والترغيب، ومجتمع أصبح يسخر ممن يستخدمون

العربية الصحيحة ويتعاملون بها. وتنعكس سخريته هذه فيما ينتجه من أعمال فنية سينمائية ومسرحية. ونحن نذكر جميعاً الفيلم المشهور غزل البنات الذي كان فيه الممثل العبقرى نجيب الريحاني صورة لمعلم اللغة العربية الذي هو موضوع سخرية تلميذاته وتندرهن به وبما يُعلّمه لهن وهن يرددن: أبجد هوز حطي كلمن، شكل الأستاذ بقي منسجماً. وعندما تسخر أمة من معلم لغتها القومية ودينها الحنيف، غير عابئة أو واعية بما يحدثه هذا من تدمير للوجدان وخلخلة في منظومة القيم وزلزلة لثوابتها المؤكدة لهويتها وانتمائها وشخصيتها، وتتمادى في ممارسة هذا العبث عبر كثير من التمثيليات والمسلسلات في الإذاعة المسموعة والمرئية، عندما يحدث هذا، فإن هذه الأمة تسير معصوبة العينين إلى مصير فاجع في خاتمة المطاف.

الذين يركزون بالطبع على سلبيات الأداء اللغوي في هذه الأجهزة الاعلامية الواسعة الانتشار والنفوذ والتأثير مُحققون، من حيث أن لغة الإعلام هي التي ترقى بلغة الناس أو تنحدر بها، والمفروض أن تكون هذه اللغة -على السنة العاملين في هذه الأجهزة- معياراً للصواب اللغوي والصحة اللغوية. ونموذجاً يقتدي به المواطنون ويعملون على تقليده ومحاكاته خاصة إذا كان هؤلاء العاملون من قراء النشرات ومذيعي الربط ومقدمي البرامج.⁽⁷⁾

من المؤكد أن كثرة الشبكات الاذاعية والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية في الجزائر، جعل المتابعة لما يحدث فيها من أخطاء أمراً شديداً الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً. فما ينهمر على الناس من ساعات الإرسال في اليوم الواحد، لا يمكن ملاحظته أو مراجعة ما يزدحم به من أخطاء، فضلاً عن اتساع المادة المذاعة -غير برامج الفنون بخاصة الغناء- والدراما الإذاعية والتلفزيونية لألوان شتى من الإسفاف في الكلمة واللحن والأداء، وأية مقارنة بين ما تقدمه هذه المادة المذاعة إلى الناس باعتباره الآن موجة شبابية وتجديداً عصرياً في الغناء من ناحية

وما كان يقدم عبر عقود طويلة من الزمان من ناحية أخرى تكشف عن مدى الانحدار في مستوى كتابة الأغنية والتسابق في الترويج لها بالرغم من أنها بضاعة فاسدة، جنايتها على لغة المستمعين والمشاهدين هائلة، ولا بد أنكم سمعتم بأسماء كثيرة - جزائرية وعربية - تحرص على أن تستخدم في الأغنية كل ما يناسب حركة الجسد، فلم يعد الغناء في مفهومهم وسيلة للتعبير والتطريب أو الرقي بالذوق والروح، وإنما هو إيقاعات جسدية لا أكثر ولا أقل - تصرف الأذن عن التلقي، وتصرفها عن التوقف عند فساد الأحداث وهزلها، في خصم الضجيج الذي يروجون له باستمرار.

بالإضافة إلى هذا كله، فإنّ تعاظم ما يمتلئ به العالم من حولنا من أحداث وكوارث ونكبات، أدى إلى وفرة هائلة فيمن يُسمّون بالمندوبين والمراسلين والمعلقين المنتشرين في شتى عواصم العالم ولدينا أيضا. هؤلاء لم تتح لهم الخبرة اللغوية الكافية التي تتاح عادة لمن يعمل مديعا أو قارئاً للنشرة أو مقدماً للبرامج، لأنهم مصنّفون أساساً باعتبارهم مندوبين ومراسلين ومعلقين، فتكون النتيجة ازدحام البث الإذاعي والتلفزيوني بسيل من الأخطاء الفادحة وركاقات التعبير وسطحية الأداء اللغوي، فضلا عن الأصوات غير الملائمة، يصبح هذا كله محسوبا على الدور السلي لهذه الأجهزة الإعلامية فيما يتّصل بخطابها اللغوي، وهو الوضع الذي حدا بكثير من علمائنا اللغويين وخبرائنا الإعلاميين ونقادنا وكتابنا إلى المطالبة في دراساتهم ومحاضراتهم وأبحاثهم وتدريباتهم - بالعمل على رفع مستوى قراء النشرات والتعليقات ومقدمي البرامج والمراسلين والمندوبين والمعلقين ثقافيا ولغويا، والتنبيه إلى الأخطار والسلبيات، يكتب الأديب الكبير نجيب محفوظ عن لغتنا في الإذاعة المسموعة والمرئية فيقول: "من حين لآخر تثار مشكلة اللغة العربية في الإذاعة والتلفزيون، وكيف تلقى على الناس متعثرة

بأخطاء النحو والنطق، وكيف تعمل على نشر الخطأ على أوسع نطاق، بقوة التلفزيون وهيمته على الحواس والآذان.⁽⁸⁾

ويكتب الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين فيقول:

"بعض المسؤولين في التلفزيون يعتبرون مأساة اللغة العربية في التلفزيون غير هامة . كلا يا سادة. مفهومٌ أن يخطئ وزير أو موظف كبير مثلاً. ولكن الذين وظيفتهم الكلام باللغة العربية عليهم أن يتلقوا الدروس وأن تُكتب لهم المادة التي يقدمونها مع الضبط الصحيح والتشكيل الدقيق."⁽⁹⁾

ويطالب العالم اللغوي الراحل الدكتور أحمد مختار عمر بضرورة التدريب اللغوي على أسس جديدة لا تركز فقط على قواعد النحو. ففي رأيه أن أخطاء الضبط النحوي هي أقل ما يقع من كلام المذيعين أما أكثره فيعود إلى أخطاء الاشتقاق الصرفي، وأخطاء الضبط لبنية الكلمة، كما يطالب بإلزام المتحدثين الضيوف المشاركين في حوار معين أو برنامج خاص أو الذين يجيبون عن أسئلة المستمعين والمشاهدين باستخدام العربية الصحيحة في أحاديثهم وإجاباتهم. فمن العار أن يتكلم كثير من أصحاب الأسماء الكبيرة المعروفة في السياسة أو الاقتصاد أو الأدب، بالعامية المصرية أو بلغة عربية مُشوّهة.⁽¹⁰⁾

يتصل بهذا كله افتقار كثير من الإذاعيين -من الإذاعة المسموعة والمرئية- والمتحدثين أيضاً، إلى الثقافة الصوتية وإلى التدريب الكافي على استخدام الإمكانيات الصوتية المتنوعة التي تندرج تحت ما يُسمى بالوسائل الصوتية غير اللفظية أو الملامح النطقية المصاحبة للعملية الكلامية، والمشاركة لها من أداء الرسالة اللغوية، والمستخدمة لتنويع نماذج الأصوات مثل النبر والتنغيم ودرجة الصوت ومعدل سرعته أو استمراريته ونوعيته ومدى ارتفاعه وطول الوقف أو

السكوت. مما يضيف إلى سلبيات الأداء من كثرة السّكتات والوقفات الخاطئة، والخطأ في تنعيم الجملة في أثناء قراءتها، ونطق الأصوات نطقاً مُعيناً من مثل التقابلات الصوتية، الدال والتاء والذال والشاء والزاي والسين والعين والحاء والغين والحاء، والخلط بين أل الشمسية وأل القمرية ، وبين همزتي الوصل والقطع.

لنتقل الآن إلى نصف الكوب الملائن، إلى الوجه الآخر من الصورة المتضمنة للعديد من الآثار الإيجابية للغة المستخدمة في وسائل الإعلام، اللغة التي تحرص على أن يفهمها أكبر عدد من أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم وأفهامهم وأذواقهم، لذا فهي تتميز بالبساطة والوضوح وتنأى عن التعالي والإغراب، وعن الحشو والمهجور والممات من اللغة، وتميل إلى الإيجاز والتشويق، فضلاً عن محاولاتها الدائبة لاستعادة الشكل المنطوق والمسموع للعربية عبر قنوات الاتصال الاعلامية على ألسنة العاملين فيها، وبالتالي على ألسنة المواطنين. هي إذن -الجال اللغوي الوحيد- الذي يُقدم الفصحى في صورتها الحية المنطوقة، من خلال منظومة صوتية وصرفية ونحوية. وهو مجال لا ينافسها فيه أحد لا في المدرسة ولا في الجامعة ولا في أي مكان آخر.

إنها- من تعريف بعض علمائنا اللغويين - المُستجيب الأول لاحتياجات الجماهير التعبيرية، والمُبتدع الأساس لمعظم المادة اللغوية المستحدثة، والمضخة التي تقذف في شرايين اللغة العربية- من حين إلى حين - بآلاف الكلمات والتعبيرات الضرورية التي قد تعجز الجامع عن ملاحقتها ومتابعتها. وحين تنتبه الجامع لهذا الجديد المستحدث، يكون قد فرض نفسه على أبناء اللغة فكأن أجهزة الإعلام الآن تقود حركة الجامع وتتقدم مسيرتها.⁽¹¹⁾

يمكن تقديم بعض الأمثلة، لما يشيع الآن على الألسنة والأقلام بفعل هذه الفصحى المعاصرة في أجهزة الاعلام: «برنامج النفط مقابل الغذاء، رسم خريطة جديدة للمنطقة، الخصخصة، الاستنساخ، العقوبات الذكية، القنابل الصديقة، القتل الرحيم، اللجوء السياسي، الإقامة الجبرية، التطهير العرقي، غسل الأموال، المدخلات والمخرجات، إعادة الهيكلة، الازدواج الضريبي، الشراكة الأوروبية، الناتج المحلي والقومي، التضخم، اليورانيوم المستنفذ والمنضب والمنزوع والناضب، العوالة الكونية، عقدة الخواجة، دول الطوق، تجميد الأموال، الحرب الباردة، جماعات الضغط، اقتصاد السوق، خفض معدل التضخم، الممارسات القمعية، هندسة وراثية، تلاعب بالجينات، تصحُّر، مصادر الطاقة البديلة، التقنية الحديثة، الإغراق الاقتصادي، هشاشة العظام، النشاط (جمع ناشط)، الجمرة الخبيثة، إلخ...»

3- آفاق اللغة العربية في وسائل الإعلام:

تأكل هذه الفصحى المعاصرة في وسائل الاعلام، وتحليلها يكشف عن توسعها في القياس فكأنها سارعت إلى فتح باب الاجتهاد في اللغة على مصراعيه في مثل الإكثار من توليد أفعال على وزن فَعَلَ وفَوَعَلَ وفَعَّلَن. على وزن فَعَلَ من مثل: قنابل مسيلة للدموع - صَوَّب المسألة - تعذيب مياه البحار - تحضير القرى - تقنين التبرع بأعضاء الجسم - تدويل القضية، تأميم البنوك، تحذير الأفكار - تفويض الحجاج (أي تقسيمهم أفواجا) - تثمين الموقف - تفعيل العمل العربي - تسريع النمو - تعظيم الأداء - تدين السياسة - تكديس السلع - تحديث الصناعة - تسهيل الغاز - تحجيم العجز - ترسيم الحدود - تكريس المفاهيم إلخ... وعلى وزن فَوَعَلَ: العوزبة في مواجهة العوالة، جدولة الديون، بلورة الفكرة، حوسبة المشروع.

وعلى وزن فعلن: عقلنة العمل العربي، عصرنة المجتمع، شخصنة الأزمة (الاهتمام بالجوانب الشخصية على حساب القضايا الموضوعية) قرضنة الموقف (فرص صيغة حكم قرضاي في أفغانستان على بلاد أخرى)، المنادة بالوطنية قبل العولمة.

من صور هذا التوسع أيضا، الإكثار من صوغ المصدر الصناعي من كل اسم جامد أو مشتق: الندية، الحتمية، العفوية، العقلاني، الإشكالية التلقائية، الأهمية، الإنسانية، المنهجية، الانسيابية، الانقراطية (أي القابلية للقراءة).

ومن المصدر: التبادلية، التراجعية، التواطؤية، التحوارية، التصادمية، التعادلية، التعايشية، التفاوضية

ومن الظرف: التحتية، الفوقية، الخلفية، الدونية، الوسطية.

ومن اسم الفاعل: الجاذبية، العائلية، الفاعلية، الهامشية التابعة.

ومن اسم المفعول: المحسوبة، المديونية، المستقبلية، المفوضية.

ومن اسم التفضيل: الأحقية، الأفضلية، الأسبقية، الأهمية.

ومن الجموع: الجماهيرية، الحدودية، الرجالية، الشبابية، الاستخباراتية، العملياتية، المعلوماتية⁽¹²⁾.

ومن الضمائر: الأنانية، الهوية.

والتوسع في صيغة جمع الجمع: حجوزات - شحونات - وصولات - رسومات، فحوصات - زهورات - كشوفات عكوسات - أذونات - شروحات - طروحات - سحبيات - ضغوطات.

والتسبب: بزيادة الألف والنون.

أناني - أواني - براني - تحتاني - جسماني - جَوَّاني - حقاني - حلواني -
شكلائي - شهواني - نفساني - نوراني - روحاني .

وبزيادة الواو: عمل سلطوي - فكر نُخبوي - مشروع نهضوي - حركة فتوية
- مفارقات جهوية .

والنسب إلى الألفاظ الجموع: درس أخلاقي، اتحاد طلابي، بحث وثائقي،
تدريب مهني، رسائل إخوانية، مدن سواحلية .

مطلب جماهيري - روابط أسرية - تقارير صُحفية - صوت ملائكي .

والنَّسب إلى جمع المؤنث السالم: ثورة معلوماتية، عمل مؤسساتي، دورة
مخابراتية، شبكة استخباراتية، اجراءات عملياتية .

كذلك التوسع في الاشتقاق من الأعيان والأسماء المزيدة: كاشتقاق الفعل
والمصدر من الأسماء الجامدة، أسلمته من إسلام . تطبيع من طبيعة - أقلمة وتأقلم
من إقليم - أرجحة من أرجوحة .

ومثلها: بلورة الفكرة - تصحّر الأراضي الزراعية، تلفزة الحفل، حوسبة
ملف القضية، تجذير الأفكار قبل طرحها ، تسيّد الموقف، حجّم الخصوم - تسييس
الدين - جدولة الديون .

ومثلها: يتموضع، يتمفضل، يتمحور، مسرحة العمل الدرامي، يتمركس (من
ماركسية) ، ألسنة المعلومات .

واشتقاق اسم المفعول من الفعل اللازم بعد إسقاط الجار والمجرور مثل:
حساب مغلوط - شركة مساهمة - عميل مُزدوج - طريق مشترك - من المتعين
عمل كذا - ثياب مفتخرة⁽¹³⁾ .

لقد توسّعنا في هذه الأمثلة بقصد إلقاء الضوء على أولئك الجنود الجهوليين
في هذه الأجهزة الاعلامية: الإذاعة المسموعة والمرئية والفضائيات ومعها
الصحافة، الذين يقبعون خلف الكواليس كما صورهم الدكتور أحمد مختار عمر

يسابقون الزمن في ملاحقة آخر المستجدات على الساحتين المحلية والعالمية، ويجهدون في التعبير عن متطلبات العصر، ويتولون الترجمة من لغة المرسل إلى لغة المتلقي في وقت قياسي يستوجب أخذ القرار الفوري، وابتداع اللفظ لحظة التفكير فيه، دون أن يسعفهم عامل السرعة وضغط الحاجة الملحة بالرجوع إلى المعاجم، أو استفتاء أهل الاختصاص أو استشارة المجمع اللغوي.

إنهم يشكّلون ورشة عمل تطرق الحديد وهو ساخن، وتطرح اجتهاداتها في اللحظة المناسبة، وتعمل بحكم التفويض الجماهيري على التعبير عن الأحداث والأشياء وكل المستجدات المفاجئة. فتسد بذلك فراغات ما كان أن ينبغي أن يترك لأهل اللغة أو المجمع اللغوي يتداولون في أمرها طويلاً - فيختلفون ولا يتفقون، وقد كانت مرجعية هؤلاء المبدعين للغة في وسائل الإعلام ذوقهم اللغوي المتميز وحساسيتهم التعبيرية الفائقة، واستغلاهم قدرات اللغة وطاقاتها الكامنة، واستفادتهم من عبقريتها في الاشتقاق وتوليد آلاف الجمل والعبارات، فكان التوفيق في كثير مما يبدعونه - حليفهم.⁽¹⁴⁾

لابد أن نشير إلى بعض الإيجابيات الأخرى المتمثلة من "إنطاق" كثير من البرامج التسجيلية والعلمية وبرامج الأطفال المنتجة في خارج العالم العربي بالعربية الفصحى على نحو يحقق الالتزام بمتطلبات كل من المعاصرة والدقة ولقد اختارت الجهات المنتجة عن عمد اللغة الفصحى - حتى تحقق لهذه البرامج انتشاراً واسعاً. وقبولاً قومياً عاماً.

كذلك فإنّ التوسع في استخدام العاميات واللهجات المحلية من الإذاعتين المسموعة والمرئية والفضائيات، ومزاحمتها للفصحى، صاحبه التزامٌ بالمستوى الفصيح في كل من نشرات الأخبار وتقارير المراسلين والتعليقات على الأحداث والتحليلات السياسية والاقتصادية والعلمية والأدبية والبرامج الدينية والثقافية

وبعض الأعمال الفنية كالأفلام والمسلسلات التاريخية الإسلامية ، والأفلام التسجيلية، والأعمال الفنية المذبذجة (الناطق بالعبية) والنصوص المترجمة للأعمال الأجنبية. فضلا عن الالتزام التام بالفصحى في إذاعة القرآن الكريم وإذاعة البرنامج الثقافي وقناة النيل الثقافية الفضائية.

هذا كله يندرج تحت ما يسمى بالتنمية اللغوية التي شغلنا عنها كثيرا بالتنمية الاقتصادية وغيرها، لدى المتكلمين والمستخدمين للغة، وأيضاً في إثراء معجمهم اللغوي الذي يتسع يوماً بعد يوم للجديد من أمور الحياة العامة وشؤونها المختلفة.

ولا يُنسى لهذه الأجهزة الاعلامية أنها قضت على حاجز الأمية بالنسبة لملايين الأميين الذين لم تعقهم أميتهم عن المتابعة والمشاركة في كثير مما تقدمه هذه الأجهزة من خلال الاستماع إلى الإذاعة ومشاهدة التلفزيون والفضائيات في البيوت والمحال والمصانع والمزارع والبوادي يفهمون ويتابعون ويناقشون ويسألون ويزيدون من مساحة الوعي والقدرة على المشاركة والانتماء. كما يُذكر لهذه الأجهزة أيضاً نجاحها في التقريب بين اللهجات والمستويات اللغوية المختلفة، الأمر الذي يتطلب دراسة ميدانية تعكف على البحث في الواقع الميداني وتحليل ما يحدث فيه من تغير وتطور وإضافة.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا البحث، تبين الدور الذي تلعبه اللغة العربية الفصحى في نقل نماذج المعرفة والفكر، والخروج من دائرة الأمية، والدفع بالمواطنين للمساهمة الفعلية في عملية التنمية، من موقع العالم والعارف لا من موقع الجاهل، كما بينا العلاقة الوظيفية المفترضة أن تكون بين اللغة العربية وآليات الإعلام وبالأخص الاعلام الثقيل، وأنها بمكانتها الجمالية وقدرة قواعدها اللغوية قادرة إذا كان ناسها متيقنين من ذلك ومدركين من حقيقة المقدرة اللغوية أن تتم الاستجابة

الكاملة لتقنيات الإعلام الناتجة عن التطور التكنولوجي التواصلي وهذه الاستجابة يمكن بناؤها على تراكمات العلاقة التي بلغت عبر التاريخ بالاتصال شكلا ومضمونا وهذا التراكم التاريخي من شأنه أن يذيب الفوارق بين القواعد التقنية والقواعد اللغوية.

وبينا كذلك أئلغة الضاد، والتي يشترط فيها الوضوح، هي العربية السليمة التي بإمكانها أن تنقل المعرفة في نماذجها النظرية، وفي تداخلاتها مع الدور المرسوم للمدرسة في نقل تراث الحضارة العربية والثقافة القومية.

وعلى هذا فإنّ أمر بلورة لغة فاعلة، لا بد له من "سياسة لغوية" وطنية، على خلفية مسؤولية بناء الدولة والإنسان، وهذا لن يتم ما لم نتجه إلى تطوير العامية المحلية، ونسج جسر التعامل مع اللهجات، قصد توظيفه في التعليم والاعلام.

كما أردنا أن نقدم صورة متوازنة يتجاور فيها الحديث عن السلبيات والإيجابيات معا، مقترحين بعضا من الحلول. وهذا من خلال الجهد البحثي لعدد من علمائنا اللغويين المعنيين بهذا المجال، مؤكدين في ختام الأمر أن اللغة في وسائل الاتصال ناقلة وخالقة. فهي ناقلة لصورة المجتمع اللغوي بكل ما يضطرب فيه من إيجابيات وسلبيات وبالتالي فليست صورة مغايرة لما يحدث بالفعل في المجتمع كله: مؤسساته التعليمية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، من اختلاط وغيرها، وضعف، وتدني، واتساع، وتطور وإضافة.

وهي خالقة للجديد من المادة اللغوية التي ثلّي احتياجات وضرورات يومية وعاجلة، من خلال توسعها في القياس والاشتقاق والنحت والتعريب. وبين الأمرين معا، النقل والخلق، تقوم حدود هذه المسؤولية، وتتعاظم أبعاد الدور والرسالة أمام الباحثين عن السلبيات والإيجابيات، والمنادين باكتمال صورة الهوية

اللغوية والقومية، وسلامة اللسان العربي وصحته واستقامته، وقدرته على الإبداع والانطلاق بلا حدود.

الهوامش والإحالات

- 1- فلفل محمد عبدو، اللغة العربية بين الثبات والتغير، مجلة 'المعرفة'، دمشق، 1997م، العدد 403، ص. 28.
- 2- المرجع السابق، ص. 30-31.
- 3- شرف عبد العزيز، علم الإعلام اللغوي، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ط1، 1981 م، ص. 52.
- 4- المرجع نفسه، ص. 53.
- 5- السيد محمد نادر، لغة الخطاب الإعلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007م، ص. 89.
- 6- المرجع السابق، ص. 90-91.
- 7- الرمحين عطا الله، المنطق واللامنطق في الخطاب الإعلامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2005م، ص. 21.
- 8- خوري صقر، الفكر واللغة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد 496، 2005م، ص. 39-40.
- 9- شرف عبد العزيز، علم الإعلام اللغوي، ص. 46.
- 10- المرجع نفسه، ص. 48.
- 11- خوري صقر، الفكر واللغة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد 496، 2005م، ص. 69.
- 12- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001م، ص. 91-92.
- 13- المرجع السابق، ص. 93-94.
- 14- كمال الحاج، الإعلام النامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2008م، ص. 32.

قائمة المراجع المعتمدة

- (01)-كمال الحاج، الإعلام النامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2008م.
- (02)-منقور عبد الجليل، علم الدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001م.
- (03)-السيد محمد نادر، لغة الخطاب الإعلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007م.
- (04)-فلفل محمد عبدو، اللغة العربية بين الثبات والتغيير، مجلة 'المعرفة'، دمشق، 1997م، العدد 403.
- (05)-الرحمين عطا الله، المنطق واللامنطق في الخطاب الإعلامي، مطبوعات جامعة دمشق، دمشق، ط1، 2005م.
- (06)-شرف عبد العزيز، علم الإعلام اللغوي، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، ط1، 1981م.
- (07)-خوري صقر، الفكر واللغة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد 496، 2005م.